مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

جوانب من التأثير المتبادل بين اللغة النوبية والعامية السودانية

محمد عبد السلام[1] يحيى فضل الله مختار[2]

مقدمة:

يحدث التأثير المتبادل بين اللغات اذا حدث احتكاك مباشر أو غير مباشر بين الشعوب التي تتحدث بهذه اللغات، وغالبا ما يكون الاحتكاك عن طريق الحروب والعلاقات الثقافية والتجارية. فاللغة العربيه على سبيل المثال احتكت بالفارسيه عن طريق إمارة الحيرة. واقترضت بعض الفاظها مثل سندس واستبرق . إضافة الي بعض ألفاظ الحضارة المادية مثل كوز، ابريق وطست، وبلغ من تأثير العرب بالفارسية أن أورد بعض الشعراء العرب في فترة ما قبل الاسلام ألفاظاً فارسية في أشعارهم مثل الأعشى ، وطرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم . والي جانب الفارسية أخذت العربية بعض مفردات اللغة الرومانية عن طريق امارة الغساسنة الفارسية كما أخذت من اللاتينية بعض الألفاظ التي تتصل بشئون الحكم والادارة مثل بلاط وامبراطور ، أما عن السريانية فقد أخذت ألفاظاً تتعلق بالدين مثل رهبوت ،جبروت وصلاة(1).

إن ما حدث للغة العربية في الجزيرة العربية ، حدث لها في السودان أيضا اذ احتكت العربية بلغات أخرى كالنوبية والبجاوية وغيرها . (2)

1- جامعة شندي – تنمية المجتمع.

2- وكيل جامعة شندي.

ونظـراً لتعـدد اللغـات التي احتكـت مـع العـربية في السـودان محلية أو أجنبية وبشكـل لا يسمـح بتنـاولها فـي دراسـة موجـزة كهـذه فـإن هـذه الـورقة تتناول

مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

التداخل بين اللغة النوبية (بلهجة وادي حلفا) والعامية السودانية بالتركيز علي كتاب الأمثال السودانية تأليف بابكر بدري و الذي صدر في ثلاثة أجزاء .

الجزء الأول حققه يوسف بدري وصدر عام 1964م. أما الجزءان الثاني والثالث اللذان قام بتحقيقهما صلاح عمر الصادق وصدرا عن معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم عامي 1995م و 1996م تباعاً .

ولقد اختار الباحث لغة الأمثال العامية دون غيرها من الأجناس الفلكلورية الأخرى نظراً للثبات النسبي للغة الأمثال لفترة طويلة من الوقت .جانب آخر هو أن اللغة العامية هي اللغة التي يكتسبها الفرد من البيئة، بعكس اللغة الرسمية أو النموذجية المكتسبة من المؤسسات الرسمية وبالتالي فهي أقل عرضة للتأثر لعوامل التغير . أما النوبية فهي اللغة الام لكتاب المقال.

تعريفات:

قبل الدخول في تفاصيل الموضوع يحسن بالباحث إيراد بعض التعريفات علي النحو التالي:

أولاً :- يقصد بالغة العامية هنا، لغة التداول اليومي ووسيلة التواصل بين الأفراد في أواسط السودان رغمٍ عن إختلاف مستوياتهم التعليمية والثقافية .

ثانياً :-نظراً لإتساع الرقعة الجغرافية التي تنتشر فيها اللغة النوبية وتعدد لهجاتها ، بما لا يمكن من تناولها في هذه الورقة وتفادياً للتعميم فإن هذه الورقة تقتصر علي تناول اللغة النوبية بلهجة وادي حلفا التي تمتد الآن من الحدود المصرية السودانية شمالاً وحتي قرية أبي فاطمة جنوباً في منطقة المحس.

فيما يتصل بمنهج الدراسة، فإن هناك إجماعاً بين الباحثين علي وجود إرتباط بين موضوع الدراسة والمنهج المتبع في تقصي الظاهرة موضوع البحث، وقد فرض إختلاف أصول اللغتين موضوع الدراسة علي الباحث

إتباع مناهج متداخلة. إذ تنتمي اللغة النوبية إلى مجموعة السلالات الحامية فيما تنتمي العربية إلى السلالات السامية (3).

علي ضوء ما تقدم فإن هذه الدراسة تقوم أولاً علي كشف الألفاظ المشتركة بين كل من النوبية والعامية السودانية، وقد أفاد الكاتب في هذه المرحلة بكتاب قاموس اللهجة العامية في السودان تأليف عون الشريف قاسم، وسهل من ذلك معرفة هذا الكاتب بالغة النوبية كلغة أم بالنسبة له. تلي هذه المرحلة مرحلة أخرى هي رد الألفاظ المشتركة إلي اصولها، وذلك بالرجوع إلى كل من اللغتين النوبية التي يجيدها الباحث ثم اللغة العربية الفصيحة من خلال قاموس لسان العرب لإبن منظور بوصفه أكثر قاموس متداول في اللغة العربية، هذا إضافة إلى القاموس المحيط للفيروز ابادي.

بإيجاز يمكن القول بأن هذه الدراسة بنيت علي منهج يمزج بين المنهج التاريخي المقارن والتحليلي . وتقع الدراسة في محورين أساسيين علي النحو التالي:-

المحور الأول:- يتناول الألفاظ التي يعتقد في أصلها النوبي ودخلت اللغة العربية.

المحور الثاني :- وينظر في الألفاظ التي يعتقد في أصلها العربي ونفذت إلى النوبية .

أ. التداخل اللغوي في شمال و أواسط السودان:-

تمتد بلاد النوبة تاريخياً من الشلال الأول في مصر وحتى ملتقى النيلين الأزرق والأبيض ، وتقلصت تدريجياً لتنحصر الآن ما بين الشلال الأول وحتى مشارف الدبة وكورتي في السودان (4).

عرفت هذه المنطقة التعدد اللغوي منذ تاريخ سابق لدخول العرب إلي السودان في القرن السادس عشر الميلادي ، إذ يطلع الباحث علي ما كتبه المؤرخ العربي المقريزي الذي يقول :

(أعلم أن النوبة وعلوة جنسان بلسانين) (5) ويشير بيتر شيني (1974م) كذلك الي التعدد اللغوي في بلاد النوبة في العصور الوسطى، إذ

استخدمت اللغات الإغريقية والقبطية جنباً إلى جنب مع اللغة النوبية، والدليل علي ذلك وجود رواسب قبطية في الدورة الزراعية المعمول بها في بلاد النوبة . ويشير المستر بدوره إلي وجود نحو من خمسة عشر لفظاً من الألفاظ القبيطية في لهجة أهل دنقلا (6). وينحو هرمان بل (1970)ذات المنحنى مشيراً أيضاً إلي وجود بقايا من القبطية في منطقة بطن الحجر – إلى الجنوب من وادي حلفا – و يمثل لها بكلمتي فقن(بفتح الفاء وضم القاف) و ميسوري (بكسر الميم) بمعنى فصلي الصيف وفيضان النيل (7).

أما بقايا اللغة اللاتينية فقد أشار إلي وجود الأنثروبولوجي اندرياس كروننبيرغ , إذ يشير إلى وجود كلمة انقلسرين اسكو (بفتح الهمزة وسكون النون) أي بنات الملائكة (8) . وهي مؤلفة من مقطعين أنقلس بمعنى الملائكة التي يردها كروننبيرغ الى أصلها اللاتيني angeles وتتبعها في النوبية نون للإضافة ثم أسكو بمعنى بنات في العربية فيكون معنى المقطعين معاً بنات الملائكة .

عندما دخل العرب بلاد النوبة لم تغرهم المنطقة بالإستقرار فيها لقسوتها، فواصل معظمهم الزحف داخل السودان، حيث البيئة مشابهة لتلك التي في الجزيرة العربية، بينما استقرت مجموعات منهم علي النيل وفي بيئة زراعية جديدة لم يألفوها من قبل، ولما وجدوا ان لغتهم البدوية لا تسعفهم علي التعبير عن البيئة الجديدة فقد إقترضوا من الألفاظ المحلية ما يمكنهم من التعبير عن هذه البيئه الجديدة لتستقر بجوف العامية السودانيه، وتتعلق معظم هذه الألفاظ بأسماء أجزاء الساقية التي تتجاوز الثلاثين مثل: سبلوقة، سندقيق، والاروتي .هذه علاوة علي أسماء الأراضي الزراعية مثل الكرو، القرير، والتقنت. تضاف إلي ذلك أسماء الأدوات الزراعية مثل الواسوق، الكوريق، و السلوكة (9).

لم يقتصر الأثر النوبي علي أسماء أجزاء الساقية والأراضي الزراعية، إذ يلمس الباحث في أسماء الأماكن في جزيرة مقرات بالقرب من مدينة أبي

مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

حمـد أسـماء أماكن نوبية مثل كدرمة، أي الحجر الأسود بلهجة المحس، هذا علي الرغم من أن سكان الجزيرة الحاليين يقولون بإنتمائهم إلي الأصل العربي و يتحدثون اللغة العربية (10).

يبدو الأثر النوبي واضحاً كذلك في لغة بعض المجموعات الأخرى التي تسكن النيل في شمال السودان خاصة الشايقية المتاخمين للنوبيين من جهة الجنوب ، ففي معرض وصفه لجزيرة مساوي من أعمال الشايقية ، يشير الباحث إلى أن الجزيرة تبدأ بالكونج في طرفها الجنوبي وتنتهي بساقية ود زمراوي بالساب في طرفها الشمالي (11). يتوقف الباحث هنا عند كلمتي الكونج والساب اللتين تعنيان إتجاهي الجنوب والشمال تباعاً في اللغة النوبية والكلمتان تصيبان نفس المعنى في سياق وصف الباحث وبالرجوع إلى القاموس الفصيح لا يعثر الباحث علي تفسير كلمة كونج فيما تعني كلمة ساب الزق أو وعاء من آدم يوضع فيه الزق(12) ولا يتوافق هذا التفسير مع المعنى الذي قصده الباحث ويحمل هذا الاعتقاد في الأصل المحلي لهاتين الكلمتين.

ترد كلمة ساب كذلك في موضع آخر من بيت شعر لشاعرة من الشايقية تقول:-

يـــا ســـلام أنـا بالشـــباب بالشـــباب مـــن قبلـــي للســـاب

الســـفر عـــندي علـــيك حـــار وآمـــنة قالـــت لـــي سكونه حار (13)

يلاحظ الباحث أن كلمة ساب في هذا المقطع تعني اتجاه الشمال تقابلها في نفس البيت كلمة قبلي بمعنى الجنوب ،و إضافة إلي ذلك فإن الأثر النوبي يبدو أيضاً من خلال بعض ألفاظ الحضارة المادية المتداولة عند الشايقية ، فهذا شاعر آخر من الشايقية يتحدث عن رحيل محبوبته فيقول :

راحـــت الروضـــة بلـــودها ويـــن فـــي الآراك علـــو لهـــا حوشـــين

كـــل حوشـــاً فـــيهو كـــبدين كـــل كـــبد فـــيها دقلـــين

مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

كـــل دقـلاً فـــيهو كشـــرين كـــل كشـــراً جنـــبو عـبدين(14)

في هذه الأبيات يشير الشاعر إلي ان محبوبته رحلت إلي منطقة الأراك بالشايقية حيث بني لها حوشين وقد أحكم كل بيت ببابين كما تم تأمين كل باب بقفلين من الخشب وزود كل قفل بمفتاحين يحرس كل مفتاح عبدان ، كل ذلك لتأمين بيت الروضة وهي محبوبة الشاعر .

يلاحظ الباحث هنا استخدام الشاعر للألفاظ كبدين ، مفردها كبد (بضم الكاف وكسر الباء) بمعنى باب ، ودقلين مفردها دقل (بضم الدال) بمعنى قفل من الخشب ، وكشرين مفردها كشر (بضم الكاف وفتح الشين) بمعنى مفتاح . أما في اللغة الفصحى فإن الباحث لا يجد معنى أو تفسيراً لهذه الكلمات يتوافق و مضمون هذه الأبيات ، إذ تعني كلمة كبد اللحمة السوداء في البطن أو معدن الأرض وما في بطنها من الذهب والفض(15)،كذلك تعني كلمة كشر (بفتح الكاف)و الأسنان عند التبسم حيناً ، و تعني ضرباً من النكاح حيناً آخر(16) أما كلمة دقل فتعني الخضاب وارداً الثمر(17) ولا تتوافق هذه المعاني مع مقصد الشاعر .

أما في اللغة النوبية فإن الباحث يكتشف تطابقاً في معاني هذه الكلمات مع ما قصده الشاعر في الأبيات المذكورة، فتعني فيها كلمة كبد الباب فيما تعني كلمتا دقل وكشر القفل والمفتاح تباعاً، وبناء علي هذا التطابق يمكن القول بالأصل النوبي لهذه الكلمات، ومن ثم إقترضها العرب الوافدون ضمن ما اقترضوا من ألفاظ الحضر وحياة الإستقرار، وهي تجربة جديدة علي العرب البدو. ملاحظة أخرى علي قدر من الأهمية وهي تطبيق الشاعر لقواعد اللغة العربية علي ألفاظ غير عربية إذ أتى بهذه الألفاظ في صيغة المثني فقال كبدين، دقلين وكشرين.

جـــدير بالـــذكر أن ورود الألفـــاظ النـــوبية في لغـــة الشـــايقية يرجـــح ما قـــال به بعـــض الباحثيـن في أن الشـــايقية ليســـوا إلا نوبة استعـــربوا في وقـــت قـــريب(

18). كما أضاف آخرون أن الأثر النوبي يقل عند قبائل المناصير والجعليين الى الجنوب من ديار الشايقية (19).

إذ انتقل الباحث إلي اللغة العامية في كتاب الأمثال السودانية فيمكن تتبع التأثير المتبادل بين اللغة النوبية المحلية من جهة واللغة الوافدة من جهة أخرى من خلال المحورين التاليين:

اولا الألفاظ النوبية في العامية السودانية:-

إن القارئ للمثل العامي الذي يقول (بيني وبينك الخته) (20) أي يحجز بيني وبينك البحر، يلاحظ أن المثل استخدم كلمة خته بمعنى نهر صغير كما يقول بذلك صاحب قاموس اللهجة العامية في السودان(21) وبالرجوع إلي القاموس الفصيح لا يعثر الباحث علي كلمة ختة بذات معناها في سياق هذا المثل ، أما في اللغة النوبية فإن الباحث يعثر علي كلمة هتة (بضم الهاء وفتح التاء مع تشديده) للإشارة إلي البحر أو النهر أيضاً، ويرجح علي ضوء ذلك أن تكون الكلمة من أصل نوبي ثم استقرت في العامية السودانية وتعرضت للتحوير من هته في النوبية الي ختة في العامية السودانية. جانب اخر يرجح من هذا الافتراض هو كون العرب الوافدين إلى السودان سكان بادية تفتقر لغتهم إلى مثل هذه المفردات.

يتوقف القارئ كذلك عند المثل القائل (أكسر الكوليقة فوق كوديقة) (22) إذ يطلب المثل بل يأمر بكسر حزمة القصب في مراح ومرابط البقر. فإستخدم كلمتي كوليقة وكوديقة بمعنى حزمة القصب/القش ومربط البقر تباعاً (23). بالنظر في القاموس الفصيح لا يجد الباحث معنى هاتين الكلمتين في سياق المثل ، أما في اللغة النوبية من جانب آخر فأن الباحث يكتشف أن كلمة كلي (بكسر الكاف وإمالة اللام مع تشديده) تعني حزمة أو ربطة من القش فيما تعني كلمة كدي (بضم الكاف وإمالة الدال) مراح البهائم ، ومما تقدم يغلب الظن أن تكون كلمتا كوليقة وكوديقة الواردتين في المثل المذكور من أصلهما النوبي كِليّ وكُدِي تباعاً ، وتعرضتا للتحوير في عامية السودان.

مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

تتناول الأمثال السودانية كذلك صلة الرحم و أهمية الحفاظ عليها وتحذر في الوقت نفسه من العواقب الناتجة عن عدم حفظ هذه الصلة فتقول: (أرو فلان وقع فينا)(24) ومن أقوالهم في هذا الصدد أيضاً (الأرو ضارب)(25) يقصدون بذلك العقاب الناتج عن عدم الحفاظ علي صلة الأرحام (26)، بمراجعة اللغة الفصحى لا يجد الباحث كلمة أرو بنفس معناها في سياق المثلين المذكورين ، أما في اللغة النوبية فيقف الباحث علي كلمة مرادفة لها هي كلمة أويَّ (بفتح الهمزة وكسر الواو مع تشديده) تصيب نفس المعنى المقصود في المثل العامي ، فالكلمتان تعنيان شيئاً واحداً يتصل بصلة الأرحام في كل من النوبية والعامية السودانية . ويستنتج علي ضوء ذلك الأصل النوبي لهذه الكلمة التي ربما إقترضتها العامية السودانية من النوبية لتتحور من آوي في النوبية إلي أرو في العامية ، وهي عند النوبيين من وسائل الضبط الإجتماعي كما أشار لذلك اندرياس كرو ننبيرج (27).

ولعل ما يرجح الأصل المحلي لهذه الكلمة ورودها في لغات محلية أخرى و بمعنى لا يذهب بعيداً عن معناها السابق إذ تعني الكلمة ضرباً من السير في لغة النوبة(28).

من الأمثال المتواترة في السودان أيضاً المثل الذي يقول (كبو له جردقة)(29) بمعنى أضافوا الأملاح الترابية . هذا في العامية السودانية إذ تعني كلمة جردقة الأملاح الترابية أو الأرض الملحة لا تصلح للزراعة كما يقول بذلك كل من عبدالله عبدالرحمن الضرير وعون الشريف قاسم(30) وفي اللغة النوبية يعثر الباحث علي كلمة شبيهة لها تعني الأملاح الترابية المعروفة في السودان بإسم العطرون وهي كلمة جدَّي (بفتح الجيم وكسر الدال مع تشديده).

أما القاموس الفصيح فيفسر كلمة جردقة بمعنى الرغيف (31) وبناء علي ما تقدم يمكن القول بالأصل النوبي لهذه الكلمة بعكس ما انتهى إليه الضرير الذي كتب كتاب العربية في السودان موضحاً أن الهدف من تأليف كتابه هو التأكيد علي عروبة السودان بعد أن رسخ في أذهان الكثيرين أن

سكـــان السودان الأصليين زنوج، بجة ونوبة. وليسوا بعرب(32) فاستند في كتابه علي العادات والتقاليد والألعاب والأمثال ومفردات اللغة في محاولة ردها إلى أصولها العربية فيذكرأن كلمة جردقة بالمعنى الذي ساقه تعود إلى أصلها العربي غير أن القاموس الفصيح لا يشير إلي شئ من ذلك، بل يردها إلى أصلها الفارسي بمعني الرغيف(33) الأمر الذي لا يتفق مع ما ذهب إليه الضرير.

مثل آخر يدور حول إخفاء الناس لعيوبهم والشماته في الوقت نفسه بالآخرين يقول (يايم دسي كروكي عشان أقول لاديك.) (يابت أم كرو) (34) إذ يطلب المتحدث من أمه إخفاء الجروح التي في مقدمة قدمها فتسخر من تلك من تلك التي تعاني أمها من نفس الجروح إذا استخدم المثل هنا كلمة كرو بمعنى الجروح في مقدمة القدم(35) ولا زالت هذه الكلمة مستخدمة في بعض أنحاء السودان مثل كردفان بمعنى الجرح كما يتضح في المثل (36) بالرجوع إلى اللغة الفصحى لا يعثر الباحث علي معنى الكلمة في سياق هذا المثل، إذ تعني الكلمة أجرة المستأجر (37) أما في اللغة النوبية فيلاحظ الباحث كلمة شبيهة ومرادفة لها هي كلمة كُر بضم وا ٍمالة الكاف وسكون الراء) تطلق علي الجروح. ويتضح من هذا الاستعراض أن كلمة كرو في هذا المثل غالباً ما ترجع إلى أصلها النوبي . ثم دخلت العامية السودانية لتتحور من كُر في النوبية إلى كرو في العامية السودانية. تتناول الأمثال السودانية كذلك المكاييل و نقول من (المري ما إنطحنت طاسة) (38) أي أن ما تم طحنه من الغلة قليل لم يتجاوز طاسة واحدة وهي ماعون، فإستخدم المثل هنا كلمة موري بمعنى مكيال يعادل ستة أرباع (39)، وبالنظر في اللغة الفصحى لا يعثر الباحث علي معنى لهذه الكلمة في سياق المثل المذكور إذ تعني كلمة مور الموج والإضطراب(40) والمعنيان لا يستقيمان ومقصد المثل العامي. أما في اللـغة النوبية فيقف الباحث عند كلمة شبيهة ومرادفة لها هي كلمة مُر (بضم الميم وسكـون الراء) تعني نفـس المكيال المذكـور مسبقاً في العـامية الســودانية. علي ضــوء ذلك يمكن

مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

الأستنتاج علي أن الكلة في المثل العامي ربما تكون نوبية وا إقترضتها العامية السودانية.

تتناول الأمثال السودانية كذلك البيئة الزراعية وما يتصل بها فتقول (حاشا على أم كرم الله من سرقة القنقر) (41)نافياً بذلك عن أم كرم الله سرقة القنقر وهو أكواز الذرة في العامية السودانية (42). أما في القاموس الفصيح فلا يجد الباحث معنى لكلمة قنقر بذات معناها في مضمون المثل ، وبالبحث في النوبية يجد الباحث كلمة قنقري (بفتح القاف وسكون النون)تستخدم صفة للسنبلة إذا اكتمل نضجها لا اسماً لها كما في المثل المذكور ويحمل هذا التشابه في المعنى على الإعتقاد في الأصل النوبي لهذه الكلمة.

من أمثال البيئة الزراعية أيضاً مثل يحذر من الإحسان إلى الشخص الملعون يقول (الحسنة في المنعول متل الشرا في القندول)(43) إذ استخدم المثل هنا كلمة شرا بمعنى ما يتبقى من الذرة بعد تذريتها (44) و لا يعكس القاموس الفصيح معنى لهذه الكلمة في سياق المثل أما في النوبية فيقف الباحث علي كلمة سِر (بكسر السين وسكون الراء) بمعنى ما يتبقى من مخلفات الذرة بعد التزرية ، فمعنى الكلمة في النوبية إذن مرادف لمعناها في العامية السودانية ، ويرجح هذا التطابق في المعنى القول بالأصل النوبي لهذه الكلمة التي ربما إقترضتها العامية السودانية ، إضافة إلي ذلك فإن هنالك مثل آخر يقول (يا أرباب أعدل اللبقة) (45) طالباً من الأرباب تهيئة الجدول فينساب فيه الماء إلى الحوض المقصود ريه (46) هذا في العامية السودانية. أما في العربية الفصحى فإن كلمة لبق تعني الحاذق لعمله أو الحسنة الدل وتعني لبقه التي يشاكلها كل لباس وطيب (47) وكلها معان لا تتفق ومقصد المثل ، أما ف اللغة النوبية فيقف القارئ عند كلمة ابق (بضم الهمزة والباء معاً) وتستخدم لإصابة نفس المعنى الوارد في المثل المذكور، و علي ضوء ذلك يمكن الإعتقاد في الأصل النوبي لهذه الكلمة و إقترضها العرب البدو ضمن ما إقترضوا من ألفاظ البيئة الزراعية.

مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

تدعو الامثال السودانية كذلك الي رد الصاع صاعين وتقول (اليسوي في رقبتك حبل سو في رقبته ألس) (48)إذ تعني كلمة ألس هنا حبلاً غليظاً تربط به قواديس الساقية (49) فيما تعني في اللغة الفصحى ذهاب العقل وإختلاطه والغدر والكذب والريبة وتغير الخلق(50) وكلها لا تتوافق وما يهدف إليه المثل.

بالرجوع إلى اللغة النوبية يكتشف الباحث أن كلمة ألس فيها تصيب نفس معناها في هذا المثل مما يغلب الظن في الأصل النوبي لهذه الكلمة ، يسترعي إنتباه الباحث كذلك المثل القائل (درابة قيف) (51) إذ تعني كلمة درابة هنا الطوب فيما تعني كلمة قيف شاطئ النهر حيث يقف الإنسان ، ويردها عون الشريف إلى أصلها البجاوي(52) وفي اللغة الفصحى تعني كلمة دراب جمع دراب المضيق في الجبل وباب السكة الواسع ومكان يجعل فيه التمر ليقب(53) فيما تعني كلمة قيف تتبع الأثر (54) ولا يستقيم معنى الكلمتين مع مضمون المثل .

بالنظر إلى اللغة النوبية يقف الباحث علي كلمة دراب بمعنى قطعة من الطين فيما تعني كلمة قيف الشاطئ أيضاً . بناء علي ما تقدم من تطابق معنى الكلمتين في كل من العامية السودانية من جهة واللغة النوبية من جهة ثانية فإن من المرجح أن تكون الكلمتان من أصل محلي نوبي و دخلتا العامية السودانية ، يعزز من هذا الرأي . إن كلمة قيف بمعنى الشاطئ أكثر إرتباطاً بالبيئة النيلية وهي تجربة جديدة علي عرب البادية.

تحذر الأمثال لسودانية كذلك من إنكشاف المستور و المسكوت عنه فتقول (الكوك يبين في المخادة) (55)، إذ استخدم المثل هنا كلمة كوك بمعنى مرض يصيب الخصيتين بالتضخم (56)، وفي اللغة الفصحى فان كلمة كوكي أو الكيكاء تعنيان السرطان(57). بالبحث في اللغة النوبية يقف الباحث علي كلمة كوكي بمعنى الذكر ، العضو التناسلي للرجل أو الخصيتين وعلي ضوء ما تقدم يمكن للباحث أن يستنتج كون الكلمة نوبية ثم

استعارتها العامية السودانية ، يرجح من هذا أن معنى الكلمة في كل من النوبية والعامية السودانية ذات صلة بالجهاز التناسلي للرجل .

ثانياً :الألفاظ العربية في اللغة النوبية:

وبمثل ما أخذت اللغة العربية من اللغة النوبية علي نحو ما تقدم، فقد أخذت النوبية بالمقابل بإفتراض بعض الألفاظ العربية وفي هذا الصدد يشير عبد المجيد عابدين إلى أن النوبية اقترضت نحواً من 30% من ألفاظها من اللغة العربية. جانب آخر يشير إليه عابدين وهو أن التطور اللغوي في السودان يسير لصالح انتشار اللغة العربية مقابل انحسار اللغات المحلية(58) . فيما يتصل بإنحسار اللغة النوبية مقابل انتشار العربية تشير فاطمة زمراوي في دراسة لها عن دينآمية التغير اللغوي في المجتمع النوبي بمدينة حلفا الجديدة، بشرق السودان، إلى أن المجتمع يبدأ بمرحلة أحادية لغوية تهيمن فيها اللغة النوبية تليها مرحلة ثنائية لغوية تستخدم فيها اللغة العربية جنباً إلى جنب مع اللغة النوبية وتنتهي بأحادية لغوية تهيمن فيها اللغة العربية(59) بالرجوع إلى تتبع الألفاظ العربية التي نفذت إلي النوبية من خلال كتاب الأمثال السودانية يقف الباحث علي الآتي:

القارئ للمثل العامي الذي يقول (دناع الطعام لا دناع الكلام)(60) بمعنى تفضيل الشخص الذي يحب الأكل علي الإنسان الثرثار كثير الكلام .يتوقف عند كلمة دناع في المثل بمعنى الجائع والشره(61). وفي اللغة الفصحى تصيب هذه الكلمة نفس معناها في العامية إذ تعني كلمة دنع وهو فعل جاع واشتهى (62)أما في النوبية فيعثر الباحث علي كلمة دَنَّاقَتَّي (بإمالة الدال وفتح النون مع تشديده). تستخدم صفة للشره وعلي ضوء ذلك يمكن القول بالإصل العربي لكلمة دناقتي التي نفذت إلي النوبية وتحورت من دناع في العربية إلي دَنَّاقَتَّي في النوبية.

تتضمن الأمثال السودانية كذلك المثل القائل " عتيد البرم إن ضبحوه ما زال قوم وا إن خلوه ما عشر غنم " (63) للإشارة إلى ضعف وهزال العتيد _ ذكر الغنم وعدم جدواه في حالتي الذبح والإبقاء عليه لأنه يقتات علي

مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

البرم وهو ثمر الطلح في العامية السودانية (64) فيما تعني في الفصحى ثمرة العضاة(65) بالنظر في اللغة النوبية يدرك الباحث أن كلمة برم تعني ثمار الأشجار التي تقتات عليها البهائم من طلح وسنط وسلم وغيرها من الأشجار . ويتضح مما تقدم أن الكلمة غالباً ما تكون عربية اقترضتها النوبية.

هنالك مثل عامي آخر يقول "ألبل ورد والمال برد"(66) يقوله الشخص بمعنى أن عودة الإبل ضمنت له حقه وحفظت له ماله ، إذ المقصود بكلمة ألبل هنا – الإبل في اللغة الفصحى . بالرجوع إلى اللغة النوبية يتضح للكاتب أن كلمة ألبل فيها (بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الباء)تعني قطيع البهائم علي إطلاقها من ضأن ، بقر وا بل الخ – ويلاحظ هنا وجود إختلاف دلالي إذ تستعمل الكلمة في النوبية استعمالاً مطلقاً للإشارة إلي قطيع البهائم دون الالتفات إلي نوعها في حين تقتصر في العربية – فصحى وعامية علي الإبل – ويرجح هذا كون الكلمة عربية ثم اقترضتها النوبية ، يعزز من هذا الرأي أن الإبل دخلت إفريقيا أول ما دخلت مع العرب الناذحين(67) هذا إضافة إلى قلة الإبل في مواطن النوبيين لطبيعتها الصخرية التي لا تلائم الإبل ، ثم أن للنوبيين كلمة محلية تطلق علي الإبل هي كلمة كم (بفتح الكاف وسكون الميم) يلفت انتباه القارئ للأمثال السودانية كذلك المثل الذي يقول " أصلع ما بخاف من قوب "(68) إذ تعني كلمة قوب في العامية السودانية داء في الجسد يتقشر منه الجلد (69)وفي القاموس الفصيح يقف القارئ علي ما يسوقه صاحب لسان العرب من أن تقوب الجلد يعني تقلع الجرب وانحلق عنه الشعر يوافقه الرأي في ذلك الفيروز أبادي (70) بالبحث في النوبية يدرك الباحث أن الكلمة مستخدمة فيها أيضاً لإصابة نفس معناها في كل من العامية السودانية والعربية الفصحى ، وقياساً علي هذا التطابق بين الفصحى والعامية حول معنى الكلمة يرجح أن تعود الكلمة إلى أصلها العربي ثم اقترضتها النوبية .

تسخر الأمثال السودانية كذلك وتنتقد الشخص المتردد الذي لا يستقر علي رأي وتقول "يتلوي متل الصرفة"(71) والصرفة تعني في العامية نوعاً من الديدان(72) تقابلها في الفصحى كلمة سرفة بمعنى دويبة كالدودة سوداء الرأس وسائر جسدها أحمر أو ملون (73) بالبحث في النوبية يجد الباحث كلمة سرف أيضاً للإشارة إلي نوع من الديدان الملونة ، ويرجع تطابق معنى الكلمة في كل من العامية السودانية والعربية الفصحى ، كما يلاحظ القارئ في المثال السابق – من الظن في الأصل العربي لكلمة صرفة والتي غالباً ما اقترضتها النوبية ضمن ما اقترضت من ألفاظ عربية .

مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

الخاتمة:

تناولت هذه الورقه التأثير المتبادل من اللغة النوبية بلهجة وادي حلفا و اللغة العامية في الامثال السودنية، وخلصت انحلال النظر في اللغتين الي وجود تأثير متبادل بين اللغتين.

الي جانب ذلك فقد خلصت الورقة إلي ان اللغة النوبية كانت تنتشر في مساحات واسعة لتنحسر الآن في حدودها الحالية بدليل وجود اسماء اماكن نوبية خارج الحدود الحالية لاوطان النوبيين، تحديداً الي الجنوب منها في السودان، ومن المعروف ان اسماء الاماكن اقل عرضة للتغيير قياساً باسماء الاعلام مما يعزز من مقولة انتشار المحلية في مساحات اوسع الي الجنوب من حدودها الحالية.

تلاحظ ايضاً وضوح اثر البيئة علي الاقتراض اللغوى، فقد تبين ان اغلب الالفاظ التي اقترضتها العامية السودانية من النوبية غالباً ما تتصل بالبيئة الزراعية المستقرة مثل شرا- قنقر- ختة- قرير ... الخ في حين ان اغلب الالفاظ التي اقترضتها النوبية من العامية السودانية تتصل بالبيئة البدوية الرعوية مثل ألبل و برم.

و يبدو ان هذا التأثير المتبادل بين اللغتين لم يسلم من تغيير دلالات بعض الاطراف علي نحو ما حدث لكلمة ألبل العامية بمعنى إبل في الفصحي والتي دخلت النوبية لتغيير دلالتها من الاشارة الي حيوان بعينه في العامية لتعني قطيع البهائم بمختلف انواعها في النوبية.

المراجع:

(1) عبد المنعم محمد الحسن الكاروري التعريب في ضوء اللغة المعاصر (دار جامعة الخرطوم،1996) ص 34-49. كمال جاه الله الالفاظ التركية و الفارسية في العامية السودانية رسالة ماجستير، معهد الدراسات الافريقية و الاسيوية جامعة الخرطوم، 1997م ص59.

(2) عون الشريف قاسم العامية في السودان- سلسلة محاضرات معهد الاضافية جامعة الخرطوم ،1964م ص12-13 .

(3) عبدالمجيد عابدي تاريخ الثقافة العربية في السودان – (دار الثقافة بيروت 1971م) ص 10.

(4) محمد عوض الله محمد السودان الشمالي ، سكانه و قبائله (لجنة التأليف و النشر 1956م) ص248.

مصطفى محمد مسعد الإسلام والنوبة في العصور الوسطى (القاهرة 1956م) ص 10.

(5) Peter shinnie (Multininguaslism In Medieval Nubia in A.Gadir Mohmoud (ed) Studies In the ancient Laanguages of The sudan (I.A.A.S, Khartoum, 1974) p.43

(6) Op cit. p,45

(7) Herman Bell Place Names in the Belly Belly of Stone (L.A.A.s, 1970) P.P 12- 88.

(8) A.Kronenberg APreliminary Report on the Anthropological fieldwork In Sudanese Nubia 1961 -62 Kush, Vol.X1, 1963, P.304.

(9) عون الشريف قاسم العامية السودانية – سلسلة محاضرات معهد الدراسات الاضافية- جامعة الخرطوم ، ص7

(10) Abbas sid ahmed The antiquities of Mograt Island S.N.R .Vol, 52,1971 P12.

(11) فاطمة أحمد علي، مروي المظهر والجوهر (دار السودان للطباعة والنشر ب ت) ص212.

(12) محمد بن مكرم، لسان العرب ـ الجزء الثالث (بيروت، ب ت) ص1094.

(13) فاطمة أحمد علي ، مصدر سابق ص201.

(14) نفسه ص 205.

(15) (ابن منظور، مصدر سابق جزء ثالث ص 3806، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي القاموس المحيط (تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي) (دار الفكر، بيروت 1995م) ص 284.

(16) ابن منظور، مصدر سابق جزء خامس 3881 ـ الفيروز بادي ـ مصدر سابق، ص242.

(17) الفيروز بادي ـ مصدر سابق، ص899.

(18) محمد ابراهيم ابو سليم، الساقية (معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، 1980م) ص 258.

(19) Ali Osman Mohamed Solih Place Names As Evidence of History . Apaper Submitted to the Second national Conference on Geographical Names Khartoum 4-6 April ,1999 P.8

(20) بابكر بدري الأمثال السودانية ، جزء اول (تحقيق) يوسف بدري (مطبعة مصر 1994)ص.

(21) عون الشريف قاسم ـ قاموس اللهجة العامية في السودان (وحدة ابحاث السودان)ـ المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون 1972م ص312.

بابكر بدري ـ مصدر سابق – جزء اول، ص42.

(22) عون الشريف قاسم ـ قاموس، مصدر سابق ص1002 ص1016.

(23) بابكر بدري ـ مصدر سابق ـ جزء اول، ص41.

(24) نفسه ص42.

(25) عون الشريف قاسم ، مصدر سابق 11.

(26) Andreas KronenbergThe Nubian Culture In The Sudsn in the 20th Century. The state Of esearsh In Hogg Thams (Stockholm (ed) Nubian Culture .Past And Present ,Sweden,1987) P.385.

(27) عون الشريف قاسم، قاموس، مصدر سابق جزء اول 43.

(28) بابكر بدري ـ مصدر سابق ـ ص43.

(29) عبد الله عبد الرحمن الضرير، العربية في السودان (دار الكتاب اللبناني، 1967م) ص6.

(30) ابن منظور ـ مصدر سابق ـ جزء اول ص 590 الفيروزبادي ـ مصدر سابق ص 784.

(31) عبد الله عبد الرحمن الضرير ـ مصدر سابق ص 16.

(32) ابن منظور ـ مصدر سابق ـ جزء اول ص 590.

(33) بابكر بدري ـ مصدر سابق ـ جزء ثاني (تحقيق صلاح عمر الصادق)(معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم 1995م) ص214.

(34) عون الشريف قاسم ، قاموس ،مصدر الطبعة الثانية ص 986.

(35) ورود هذا المعني في حديث دار بين الكاتب ونصر الدين جار النبي عضو هيئة التدريس بقسم التاريخ ـ كلية التربية ـ دار الحديث باستراحة الأساتذة بمجمع التربية شندي يوم 1999/10/25م.

(36) عون الشريف قاسم، (1972م) مصدر سابق ص 671.

(37) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء ثاني ص98.

(38) عون الشريف قاسم، قاموس ،مصدر سابق ص667.

(39) ابن منظور ـ مصدر سابق جزء ص - الفيروزبادي مصدر سابق ص 431.

(40) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء اول ص 186.

(41) عون الشريف قاسم، (1972م) مصدر سابق ص936.

(42) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء اول ص 209.

(43) عون الشريف قاسم، قاموس (1972م)ص 206.

(44) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء ثالث ص 201.

(45) عون الشريف قاسم، قاموس (1972م) مصدر سابق ص 397.

(46) ابن منظور ـ مصدر سابق جزء خامس ص3988 الفيروزبادي مصدر سابق ص 829.

(47) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء ثالث ص 239.

(48) عون الشريف قاسم / قاموس 1972م ـ ص 1032ـ 1033.

(49) ابـن منـظور ، مصدر سـابق جـزء ثانـي ص 1350 الفيروزبادي مصدر سابق 477.

(50) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء اول ص 275.

(51) عون الشريف قاسم / قاموس ط2 مصدر سابق ص 948.

(52) ابن منظور، لسان العرب جزء ثاني (تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون) (دار المعارف، ب ت) ص 1350.

(53) الفيروزبادي ، مصدر سابق ص 763.

(54) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء ثالث ص 210.

(55) عون الشريف قاسم / ط2 ص 1021.

(56) ابن منظور.

(57) عبد المجيد عابدين مصدر سابق ص 15- 16 .

(58) Fatma M.A Zumran The Dynamics of languge change in the Nubian community These ,I.A.A, of New Halfa Unpulished M.A.S , Khartoum , 1980 P.48.

(59) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء اول ص 291.

(60) عون الشريف قاسم ـ قاموس مصدر سابق ص 209.

(61) الفيروزبادي، مصدر سابق ص 645 .

(62) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء ثاني ص 76 .

(63) عون الشريف قاسم ـ قاموس 1972م مصدر سابق ص 99 .

(64) ابـن منـظور، مصدر سـابق ص 814 ، الفيروزبادي مصدر سابق ص 973.

(65) بابكر بدري ـ مصدر سابق ـ جزء اول ص 72 .

(66) جريدة الرأي العام ـ العدد 151 ـ الأثنين 2001/10/29م ص 8.

(67) بابكر بدري ـ مصدر سابق ،جزء اول ص 53.

(68) عون الشريف قاسم ـ قاموس 1972م مصدر سابق ص 938.

مجلة جامعة شندي العدد الثاني (يناير 2005م) ISSN:1858-571X

(69) ابن منظور، مصدر سابق ص 814، الفيروزبادي، مصدر سابق ص 973.

(70) بابكر بدري ـ مصدر سابق جزء ثالث ص 219.

(71) عون الشريف قاسم قاموس ـ مصدر سابق ص 667.

(72) الفيروزبادي ـ مصدر سابق 737.